الحرب لم تتوقف بالنسبة إليه حتى حين يكون بعيداً عن دائرة الخطر

جان مارك نحّاس: أنا رسام ولست ملوّناً... أعبّر بسرعةِ شريطٍ سينمائي

كان مقرراً أن يقيم الفنان جان مارك نحاس معرضه في هنغار «أمم» في حارة حريك، لو لم تتعرض حرب تموز للهنغار أيضاً، ما جعل زيكو هاوس ملاذاً آخر لأعمال الفنان، التي اتخذت هذه المرة أسلوب التجهيز، فكانت شرائط الرسوم، والمجسمات، والفيديو، والإضاءة، وسوى ذلك من التقنيات القديمة والجديدة في تجربة نحاس، التي تركزت هذه المرة على الحالة الكابوسية، التي كثيراً ما مثلتها أعماله، بل إن المعرض الجديد شهد ارتفاعاً في اللهجة التعبيرية، وتصعيداً في الإشارات الاحتجاجية، وفجائعية في تصوير للواقع المأساوي الذي عاشه ويعيشه لبنان، فحمل عنوان «رأساً على عقب».

عن معرضه هذا، ومن خلاله عن تجربته، هذا الحوار:

معرضك الجديد استمرار للتعبير عن الحالة الكابوسية التي بدأتها في معارض سابقة. هل سوف تستمر هذه الحالة في نتاجك؟

■ **لا. ليس بالضرورة. لكن الحالة التي عشناها في لبنان كانت صعبة ولمّا تزل. فنحن خرجنا من الحرب، لكن، كما تعلم، معرضي الأخير جاء بعد حرب تموز، فالحرب تلاحقنا. وأنا فنان أنطلق في فني من موقف. لا أرسم للصالونات، وكوني لبنانياً أشعر بأن لي محلاً من الإعراب. ولا بد من التعبير عن ذلك الخوف من الحرب، التعبير عن رفض الحرب والعنف ورفض العودة إلى المأساة التي عشناها ونعيشها. بدأت الإعداد لمعرضي قبل حرب تموز، لأنني كنت أتخوف من حرب أهلية جديدة في لبنان.**

نعرف أنك وعيت في جو الحرب، وعشتها بين عمر الـ١٥ والـ١٧ سنة، هل تستحضر كل هذه الكوابيس التي ترسمها من مشاهدات تلك المرحلة؟

■ **أكيد لا. فالحرب لم تتوقف بعد هاتين السنتين. فبعد سفري كنت أتابع الحرب من بعيد، عبر شاشات التلفزة، بقلق أكبر. الصدمة، في الخارج، تكون أقوى وأشد إيلاماً. هناك فرق في أن ترى الحرب من قرب أو من بعد، الأمر يكون صعباً جداً عندما تعرف أن أهلك واقعون في دائرة الخطر وأنت بعيد عنهم لا تستطيع أن تفعل شيئاً. الحالة نفسها تشبه ما حدث مؤخراً في حرب تموز الماضية، حيث كنت بعيداً عن القصف، لكن أحبائي وأصدقائي يعيشون حالة صعبة.**

مسح الذاكرة

هناك من يعتبر أنه يمكن مسح ذاكرة الحرب بوردة، ويعبر عن رفض العنف باستبعاده من اللوحة. كيف تبرر موقفك؟

■ **السؤال الذي سألته لنفسي، بعد معرضي الأخير، هو: هل نحن وُلدنا في كابوس الحرب أم أن الحرب موجودة خارجنا. جربت النظر إلى رسومي الأخيرة وتحليلها على هذا الأساس، وسألت: هل الحرب هي أساس ما أرسم أم أن حساسيتي الخاصة تأخذني إلى هذا الموقف مرة، ومرة إلى سواه؟ طرحت على نفسي وأطرح الكثير من الأسئلة، من دون أن أجد أجوبة عنها. بل تساءلت مرة: هل أنا، الفنان اللبناني، مختلف في هذا المجال عن فنان آخر؟**

في مرحلة سابقة على هذا المعرض رسمت يومياتك البعيدة عن الحرب تقريباً. هل تفكر، بعد هذا المعرض، في العودة إلى حياة فنية بعيدة عن الويلات والكوابيس؟

■ **أكيد. لا أسخّر عملي للحرب. أنا أرسم الحياة بما فيها من كوابيس وأيام مختلفة. ولا يمكن أن أكون فناناً لبنانياً إذا لم أرسم الحياة في لبنان. لست فنان حالة واحدة أو جهة أو مكان. ولا أستطيع أن أكون فناناً لبنانياً إذا لم أعرض في الأشرفية وحارة حريك والحمرا وجونية.**

أراك تعبّر عن العنف بعنف أيضاً.

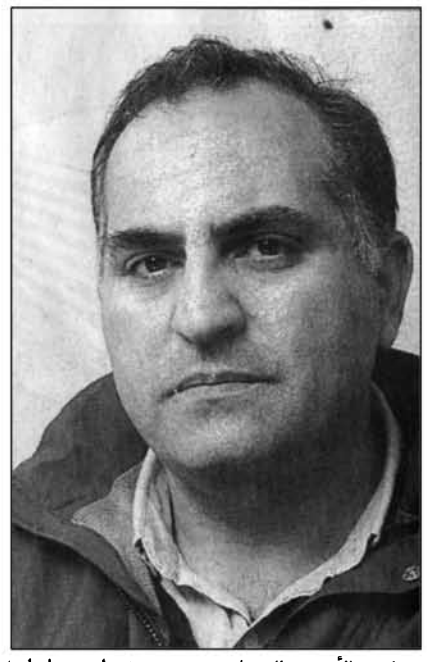

نحاس: الأسود بالميزان (عباس سلمان)

■ **في السينما تخرج من فيلم لكوبولا فتكون جاهزاً لقتل أحد. أنا أريد العكس، أصوّر العنف لأكرّه الناس به.**

لكن العنف يخرج من داخلك. هل لتشفي منه أنت أم لتُشفي الآخرين؟

■ **أنا ضد العنف الموجود في داخلي ودواخل الآخرين.**

وضعت في المعرض بدءاً لفيلم هيتشكوك الشهير «الطيور»، فشعرنا بأنك تقترب منه في ناحيتين، الأولى من حيث التكنيك السنمائي، والثانية لتستمد التعبير العنفي من سينماه.

■ **أنا قريب من هيتشكوك بتعبيري العنفي وبشريطي السريع. لا أستطيع أن أستمر ساعات طويلة في رسم لوحة، فأنا أعبّر عن عواطفي وأحاسيسي بسرعة شريط سينمائي.**

بالأسود والأبيض

أنت تعتمد ذلك الأسلوب التعاقبي، حيث إن الرسوم تتوالى متسلسلة الواحدة بعد الأخرى، كما في شريط يروي قصة أو يصور حالة.

■ **لا أعتمد السرد في لوحاتي. هي تشبهني وتصور حالة من حالاتي، من دون ذلك التفصيل السردي، لا أعتمد الدقة ولا الخبر، أهرب من التفاصيل، وهذا ما جعلني أرسم بالأسود والأبيض. وهيتشكوك أيضاً أنتج فيلمه المذكور بالأسود والأبيض.**

أقول لك أنا كسرت اللوحة وقطّعتها إلى عدة أقسام، ثم، بعد ذلك، جربت أن أستخدمها كسلعة تتماشى مع جو معماري، فليس لديّ لوحة مستقلة، هي مكونة من أجزاء لا تتجزأ، وإن كانت تشكل مبنى واحداً.

أعود إلى ذاكرتك الفنية، فقد كان جان فورتييه يرسم وجوه أولئك الذين كان يراهم يساقون إلى الإعدام. أنت من تتذكر عندما ترسم وجوه أبطالك أو شخصياتك، من تتذكر من الفنانين والتجارب الفنية؟

■ **أنا أعتبر نفسي وارثاً لغويا وبيكاسو وهيتشكوك وسواهم. أتطلع أحياناً إلى موقعي وأسأل: أين أنا من كل هذه الخارطة؟ أتطلع إلى الوقت الذي تتطلع إلى لوحتي فلا تتذكر أحداً. همي أن أكون أنا نفسي بمعزل عن كل هؤلاء الكبار. أنتظر ذلك اليوم الذي لن أعود فيه أرى أحداً خلف لوحتي. عليّ أن أصل إلى ذلك اليوم.**

بيكاسو قال ما معناه أنه بقي أربعين سنة يتعلم الرسم، وأربعين أخرى لينسى ما تعلم. أشعر بأنني بدأت أنسى أشباح غويا وبيكاسو...

غويا كان يعتمد ما يسمى ميثولوجيا الوعي، أي ذلك التحرك الواعي بين الأسطوري والواقعي. كيف يمكن أن تصف لنا حركتك بين هذين المستويين؟

■ **السؤال صعب. أستطيع أن أصف لك ما أفعل. بداية، تبدو لي اللوحة عملاً تجريدياً عليّ أن أقيم الميزان فيه بين الأسود والأبيض، ثم تبدأ الخطوط تتحرك، مستقيمة وملتوية، فتظهر أشكال حيوانية وإنسانية. الخطوط هي التي تنعطف في اتجاه الشكل، من دون أن أتقصد ذلك، فأنا لا أصل إلى خلاصات وأجوبة. قلت لك أنا أبدأ الرسم فتبدأ الأسئلة تتوالد. لوحاتي هي مجرد أسئلة. أرسم كثيراً لأطرح الكثير من الأسئلة، ولا أدّعي أنني توصلت إلى وعي ما محدد، أو إلى تشخيص نهائي، وسأبقى كذلك.**

هناك سؤال لا بد منه، لماذا الأسود والأبيض فقط، وقليلاً ما تدخل الألوان إلى لوحتك؟

■ **الأسود لون الجدية وليس لون التعاسة فقط. ثم أنا رسام ولست ملوناً. الرسم أهم شيء عندي.**

لكن نلاحظك تلون كثيراً بالأسود.

■ **نعم. لكنني ألتزم الأسود، كي لا أكون ثرثاراً باللون، في وقت أشعر فيه بأنني لست ثرثاراً بالرسم أو الخط. أنا فنان متقشف، في الأساس، والعبقرية تكون في التقشف لا في التزيين اللوني. لا أستطيع أن أبقى عشرات الساعات لأنهي لوحة، ما دمت أستطيع إنهاءها بدقائق معدودة. أحب أن أقتصد في التفاصيل وأبتعد عن الثرثرة.**

لا تنسَ أن التلوين بالألوان الأخرى يستطيع أن يخفي الأخطاء، أما الرسم بالأسود فيفضح الفنان إذا لم يكن قادراً، لأنه يحتاج إلى ميزان دقيق.

تستعمل دائماً الخط العريض.

■ **اشتغلت بالخط الرفيع، لكن الخط العريض أسرع.**

الكابوسية التي تشتغل بها معرضك تذكّر بكابوسية سمير خداج، وقد اشتغلت معه في معرضه الأخير «برج بابل» الذي أقامه في المركز الثقافي الفرنسي. هل هناك مشاريع أخرى معه؟

■ **أنا طلبت حينها أن أشتغل معه، بسبب محبتي لعمله وانسجامي معه. أشعر بأن فلسفته الفنية قريبة من فلسفتي، وأهدافه تشبه أهدافي. وأهم شيء أن لديه شيئاً يعطيني إياه. لو أنه في لبنان لتعاملت معه في مشاريع أخرى.**

إلى جانب من من الفنانين تشعر بالألفة والقرب الفني؟

■ **أرتاح للموجة الشبابية الجديدة التي تعرض أعمالاً تشكيلية أو حتى أفلاماً.**

لأول مرة تقدم معرض تجهيز. وهذا ما يفعله عدد من الفنانين الشبان اليوم. هل تتجه أكثر نحو التجهيز في معارض لاحقة؟

■ **ربما يحصل ذلك. لا بد من الاتجاه نحو تقنيات جديدة. في المعرض نفسه عملت فيديو آرت مدته أربع دقائق. لا أتطلع إلى التخلي عن الرسم كلياً، لكن لا بد من الاتجاه نحو التجهيز.**

حاوره: أحمد بزون

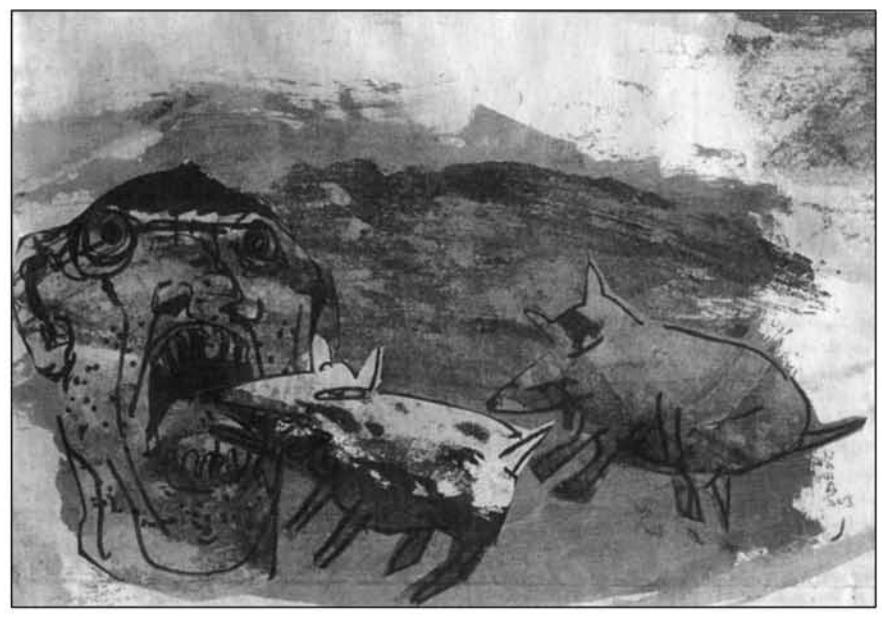

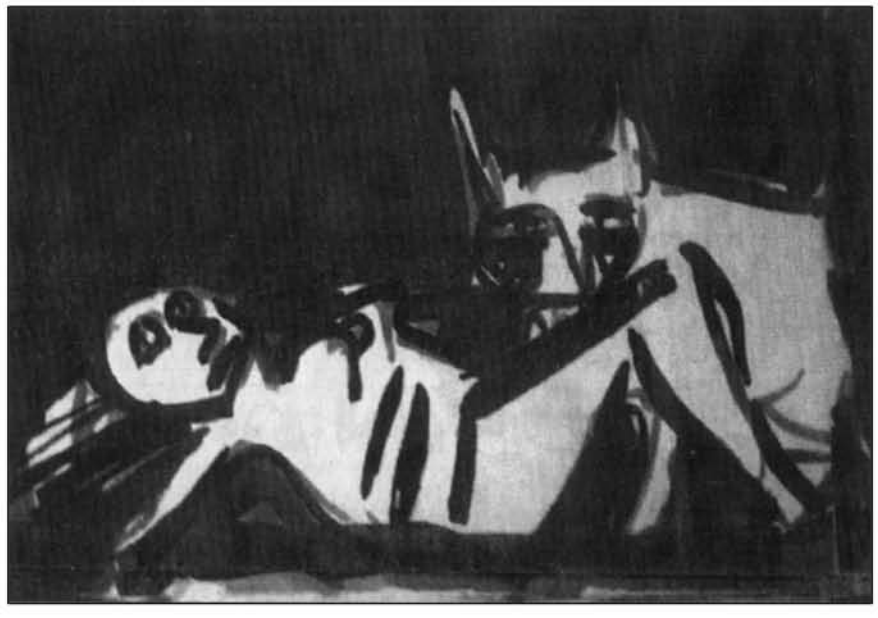

من أعمال المعرض